تنبيه الفضلاء

أن الفقر داء من الأدواء

أبو الحسن فهمي بن جميل بن هائل التعزي الحمادي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ ،يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢]. وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [سورة النساء:١].وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾ [سورة الأحزاب:٧٠].

أَمَّا بَعْدُ:

فهذه رسالة قصيرة الحجم أردت أن أبين فيه على أن الفقر يعتبر داء من الأدواء؛ تنبيهًا لبعض الفضلاء، حفظهم الله، وقد سلكت فيها الاختصار، لأنها عبارة عن رسالة تبين إثبات لفظة داء للفقر فقط، ولأن بعض الفضلاء حفظهم الله، انتقد علي هذه اللفظة، في محاضرة لي، فأحببت أن أبين أن هذا

اللفظ ثابت، وليس في إثباته أي محظور شرعي فيما أعلم، ولم أعثر عن أحد من أهل العلم انتقاد هذه اللفظة، والله أعلم.

وكتب/ أبو الحسن فهمي بن جميل بن هائل الثعزي الحمادي.

بسم الله الرحمن الرحيم

داء الفـــــقـــر

الحمد لله الذي أغنى وأقنى، والذي خلق الزوجين الذكر، والأنثى، والذى أفقر من شاء من عباده وأغنى، لحكمة يعلمه جل وعلا ، فله الحمد في الأولى، وفي الأخرى، على ما منع وأعطى، واعلم أيها العبد أن المولى جل وعلا، يبتلي العباد بالسراء، والضراء، كما قال تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة الأنبياء:٣٥].، ومن هذا البلاء الفقر، الذي هو من الشر عند الإنسان، والغنى الذي هو من الخير، وكل تحت مقدور الله الكوني، وهذا يعتبر من الداء، وما أنزل الله من داء ؛ إلا جعل له شفاء، وهذا من رحمة الله لعباده الأغنياء، والفقراء.

تعريف: الفقر:

قال المناوي في فيض القدير(٢/٢٤٢٤): مَأْخُوذٌ مِنَ الْفَقَارِ كَأَنَّهُ كَسَرَ فَقَارَهُ.

وقال صاحب كتاب شمس العلوم في كلم العرب(٨/٥٢٣٣): والفقير: المكسور فَقار الظَّهْر، ومنه اشْتُقَّ الفقير، لأن الفقر كسر فَقاره وأضعَفه، ويروى قول لبيد:

هز القوادم كالفقير الأعزل.

قلت: وهذا يدل على أن الفقر يؤدي بالإنسان إلى الضعف، فلا مانع من تسميته داءً، والله أعلم.

والفقر في الشرع: يراد به الفقر من المال، ويراد به فقر المخلوق إلى خالقه، كما قال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّه}. (مجموع الفتاوى ١١/١٩٦ للإمام ابن تيمية).

قلت: والذي نحن بصدده هو الأول.

تعريف الـــــداء:

قال صاحب لسان العرب: الداءُ اسم جامع لكل مرَض وعَيْب في الرجال ظاهر أَو باطن حتى يقال داءُ الشُّحِّ أَشدُّ الأَدْواءِ ومنه قول المرأَة كلُّ داءٍ له داءٌ أَرادتْ كلُّ عَيْبٍ في الرجال فهو فيه غيرُه الداءُ المَرَضُ والجمع أَدْواءٌ.

وقال المناوي رحمه الله في فيض القدير (٢/٢١٦): قال الحرالي: والداء ما يوهن القوى ويغير الأفعال الغامة للطبع والاختيار والبرؤ تمام التخلص من الداء.

قلت: والفقر يفعل هذا بالشخص، كما تقدم في تعريف الفقر، والله أعلم.

إثبات لفظة داء في اللغة.

تقول العرب: فلان دواء الفقر إن سئل أعطى وإن لم يسئل ابتدأ.

(غرر الخصائص (ص٣١٩)

قال الخطابي رحمه الله: قوله لكنها داء إنما سماها داء لما في شربها من الإثم وقد يستعمل لفظ الداء في الآفات والعيوب ومساوئ الأخلاق، وإذا تبايعوا الحيوان قالوا برئت من كل داء، يريدون العيب، وقال رسول الله ﷺ لبني ساعدة من سيدكم قالوا جد بن قيس وإنا لنزنه بشيء من البخل (أي نتهمه بالبخل) فقال وأي داء أدوى من البخل والبخل إنما هو طبع أو خلق وقد سماه داء. وقال: دب اليكم داء الأمم قبلكم البغي .....

سميت الخمر داء إنما هو في حق الدين وحرمة الشريعة، لما يلحق شاربها من الإثم وإن لم يكن داء في البدن ولا سقما في الجسد.

قلت: وهذه ليست بأدواء حسية، إنما هذا من باب التشبيه بالداء، والفقر كذلك من هذا الباب ، والله أعلم.

قال صاحب القاموس المحيط: وداء الكرم: الدَّيْنُ ، والفَقْرُ.

أثبات لفظة داء للفقر عن السلف:

قال أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الفقر داء لا دواء له من كتمه قتله ومن أذاعه فضحه.

قلت: ذكر هذا الأثر صاحب كتاب غرر الخصائص، ولم يذكر له سندًا، ولم أعثر عليه في كتب الآثار، فلأبأس بذكره؛ لأنه لا يتعلق بأمور العبادات، ولكن في إثبات لفظة، وبعض أهل العلم، يثبتون بعض الألفاظ في اللغة، وإن كان الحديث ضعيف، وقد ذكر ذلك شيخنا أبو بلال الحضرمي، في تدريسه لنا في مغني اللبيب، والله أعلم.

وعن يحيى بن يمان قال: سمعت سفيان الثوري يقول: العالم طبيب الدين، والدراهم داء الدين فإذا جذب الطبيب الداء إلى نفسه فمتى يداوي غيره.

قلت: هنا سمَّى سفيان الدراهم داءً، مع أنه لم يأتي دليل في ذلك، لكن من باب التشبيه، كما في كثير من الأحاديث، وكما ذكر الخطابي فيما سبق معنا من كلامه، والفقر من هذا الباب؛ لأنه من التشبيه، وليس هناك محظور في منعه، والله أعلم.

قال ابن الجوزي رحمه الله في تلبيس إبليس(١٦٣): فصل: واعلم أن الفقر مرض، فمن ابتلي به، وصبر أثيب على صبره.

قلت: وهو بمعناه، أي: المرض بمعنى الداء، وهذا صريح في إثبات ذلك، والله أعلم.

إثبات لفظة داء للفقر استنباطاً من خلال كلام أهل العلم.

قال الخطابي رحمه الله: في هذا الحديث إثبات الطب والعلاج وأن التداوي مباح غير مكروه كما ذهب إليه بعض الناس ، وفيه أنه جعل الهرم داء وإنما هو ضعف الكبر وليس هو من الأدواء التي هي أسقام عارضة للأبدان من قبل اختلاف الطبائع وتغير الأمزجة ، وإنما شبهه بالداء لأنه جالب التلف كالأدواء التي قد يتعقبها الموت والهلاك انتهى

وقال في لسان العرب(٦٠٧/١٢): وَفِي الْحَدِيثِ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وضَعَ لَهُ دَوَاءً إِلا الهَرَمَ؛ الهَرَمُ: الكِبَرُ، جَعَلَ الهَرَمَ دَاءً تَشْبِيهًا بِهِ لأَن الْمَوْتَ يتعَقَّبُه كالأَدْواءِ.

قلت: وداء الفقر من هذا الباب؛ لأن الأمراض تعقبه، وقد يموت المرء جوعًا، وقد هنا للتقليل.

وقال القسطلاني رحمه الله: و((السام الموت))، وفيه: أن الموت داء من الأدواء، وقال: وداء الموت ليس له دواء.

وقال الطيبي رحمه الله: الجوع يضعف القوى ويشوش الدماغ فيثير أفكارًا ردية وخيالات فاسدة فيخل بوظائف العبادات.

قلت: وجَعْلُ الفقر داء تشبيهًا؛ لأنه يضعف القوى، والله أعلم.

وقال أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي في معالم السنن(٤/٢١٧): وفيه أنه جعل الهرم داء وإنما هو ضعف الكبر وليس من الأدواء التي هي أسقام عارضة للأبدان من قبل اختلاف الطبائع وتغير الأمزجة ، وإنما شبهه بالداء لأنه جالب للتلف كالأدواء التي قد يتعقبها الموت والهلاك وهذا كقول النمر بن تولب :

ودعوت ربي بالسلامة جاهدًا..... ليصحني فإذا السلامة داء

يريد أن العمر لما طال به أداه إلى الهرم فصار بمنزلة المريض الذي قد أدنفه الداء وأضعف قواه وكقول حميد بن ثور الهذلي :

أرى بصري قد رابني بعد صحة ...وحسبك داء أن تصح وتسلما

قلت: وتسمية الفقر داء من هذا الباب، والله أعلم.

و قال ابن الوزير رحمه الله في القواصم والعواصم: ولا يُناقِضُ هذا ما صح من استعاذة النبي -صلى الله عليه وسلم- من الفقر، لأن ذلك بمنزلة سؤال العافية، وقد تواتر سؤال العافية فعلاً وأمرًا، مع تواتر الأجر العظيم في الأمراض، وذلك لضعفٍ البشر فالسُّنَّةُ وردت بسؤال العافية والغنى ، وبالصبر عند الابتلاء.

قلت: وفي هذا الكلام إلماحة على أن الفقر يعتبر من الأمراض المعنوية، والله أعلم.

و قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله: والفقر مرض.

وقفة أخيرة أقول فيها:

ما المناع من تسمية الفقر داء، مع هذا الكلام الذي ذكرته، مع السلامة من التسخط من أقدار الله، مع هذا لم أجد أحدًا من أهل العلم من ينتقد هذه الكلمة، إلا ما ذكره المنبه حفظه الله، مِنْ أن الألباني رحمه الله انتقد على من يقول مشكلة الفقر، مع أني لم أقف على كلامه، بعد البحث، وما علمت وجه الانتقاد ، على كتاب مشكلة الفقر للقرضاوي الذي حققه العلامة الألباني رحمه الله، والله المستعان، ولعل وجه من انتقد استنباطًا من عندي، أنه التسخط، أو تغير ما قد قدره الله كونًا، والله أعلم.

وفي الأخير أقول: فلا مناع ولا محذور من ذلك، مع السلامة من التسخط، ورد ما قدره الله الموفق.

تم بحمد الله ما أردت أن أنبه عليه في هذه الورقات، فأسأل من الله أن ينفع بها الكاتب، والقارئ، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم الانتهاء من كتابة هذه الورقات في الأربعاء من شهر ربيع الأول لعام ١٤٤٤هـ في مسجد السنة في السعوانية – الجزائر

فهرس الموضوعات

تعريف الفقر ٣
تعريف الـــــداء ٤
إثبات لفظة داء في اللغة. ٥
أثبات لفظة داء للفقر عن السلف..... ٦
إثبات لفظة داء للفقر استباطاً من خلال كلام أهل العلم. ٨
وقفة أخيرة أقول فيها ١٠
فهرس الموضوعات..... ١١